التكرار في الشعر العربي ودلالته البلاغية

أ . سليمان مفتاح منصور المنصوري
كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

ظاهرة التكرار متأصلة في أدبنا العربي القديم والحديث بل نجد القران الكريم قد استخدم التكرار لأغراض مختلفة مثل قوله تعالي في سورة التكاثر قال تعالي((كلا سوف تعلمون (3) ثم كلا سوف تعلمون (4) كلا لو تعلمون علم اليقين (5)))صدق الله العظيم(1)، فجاء التكرار للتهديد والإنذار .(2)

ويلجأ الشعراء والأدباء لأغراض بلاغية ونفسية لأن لغة الأدب لغة راقية لم تتمتع به من أسلوب راقي يفهم علي تجربة شعورية عاشها صاحبها بخلاف اللغة اليومية أي اللغة العادية التي تستخدم للاستهلاك اليومي لايخرجالكلام لأعراض بلاغية متنوعة لاتعد وكونهـا أوامر للمخاطب بينما في اللغة الأدبية تعطي للمتلقي إحساسا آخراً، كما سيظهر في البحث والتكرار عبر التوكيد فالتوكيد لا يتجاوز اثنين من المفردات أو الحروف أو الجمل وسيكون البحث مقتصرا علي نماذج شعرية من قصائد تخدم هذا البحث وبيان أغراضه ودلالته التركيبية.

أولاـ تكرار الموضوع بين الشعراء :

يظهر التكرار واضحا في المقدمات الطلالية عند شعراء الجاهليين وهنا أخص الموضوع وهو الوقوف علي الأطلال أو المرور بهـا فهو موضوع واحد لدي الشعراء هذه الحقبة وإن اختلفت المفردات أو تشابهه، حتي يحس المتلقي الواعي بأنه في موقف إنساني واحد وليس هناك خلاف بينهم، بل هو موضوع واحد قال عنترة:-

هل غادر الشعراء من متردم ***أم هل عرفت الدار بعد توهم (3).

قوله :"من متردم" من قولهم: رد من الشيء ،إذا أصلحته وقويت ما وهي يقول : هل أبقي الشعراء لأحد معني إلاوقد سبقوا إليه ؟ وهذا كقولهم :هل ترك الأول للآخر شيئا(4) وهذا يدل علي أن الشعراء في العصر الجاهلي موضوعاتهم مع الاختلاف في اللفظ والعبارة والشعور النفسي لديهم واحد وسيكون البحث في العصر الجاهلي مقتصرا علي المقدمة الطلالية في معلقة كل من :-

طرفه بن العبد،وزهير بن أبي سلمي،ووليد بن ربيعة.

إن هؤلاء الشعراء من أصحاب المعلقات تدور مقدماتهم الطلالية علي موضوع واحد هو الحنين للحبيبة الراحلة عند هذه الربوع ،فالشعراء في هذه المقدمات يتذكرون الماضي ويكررون ذكريات الماضي للتسلية عن النفس .

وأبدأ بطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمي ، ووليد بن ربيعة .

قال طرفة بن العبد في مقدمة معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثمهد ***تلوح كباقي الوشم في ظاهرة اليد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم***يقولونلا تهلك أسي وتجلد
كأن خدوج المالكيـة غدوة***خلايا سفين بالنواصف من دِد
عدولية أو من سفين ابن يامن***يجور بها الملاح طورا ويهتدي(5)

وقال زهير بن أبي سلمي أيضا:-

أمـن أم أوفي دمنـة لم تكلَّمِ***بحومانـــة الدرَّاج فالمتثلم
ودار لهـا بالرقمتين كأنهـا***مراجيع وشـم في نواشر معصم
بها العين والآرام بمشين خلفة*** واطلاؤها ينهض من كل مجثم
وقفت بها من بعـد عشرين حجة***فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافي سفعا في معرس مرجـل ***ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها*ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم (6)

وقال لبيد بن ربيعة:-

عفت الديار محلها فمقامها *** بمني تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عري رسمها***خلقا كما ضمن الوحي سلامها
دمن تجرم بعد عهد أنيسها*** حجج خلون خلالها وحرامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها***ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجف***وعشية متجاوب إرزامها(7)

إلي أن يقول:-

ورجع واشمة أسف نورها***كففا تعرض فوقهن وشـامها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا***صما خوالد مـتا يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فأبكروا***منها وغودر نؤيها و ثمامها(8)

إن هذه المقدمات الطلالية تدور حول موضوع واحد وهو الوقوف علي الاطلال وان الوقوف علي الاطلال تسجيل حنين للمحبوبة الراحلة.

وقد يكون رثاء لها لأنها تعبر مسألة وجودية كبري ، وهناك من يري إنها انعكاس للصراع الأبدي في نفس الانسان وفي الحياة من حوله يقول الدكتور عاطف جوده حضر: إنها انعكاس للصراع الأبدي في الإنسان وفي الحياة بين ايروس وكانا توس أي بين الحب والحياة وعريزه المون التي تعمل في صمت.

فالوقوف علي الاطلال أرى أنه ذو دلالة علي استرجاع الزمن الضائع الجميل من حياة الشاعر الذي يحاول جاهدا ألا تجدب حياته فهو يدور حول موضوع واحد وإن اختلف المفردات التي يستخدمها الشعراء مع الاشتراك في البعض منها مثل: الوشم

والطباع إلا انها تذكر لحظات الانس التي كانت تزخر بها وتهدف إلي إثارة مشاعره ومشاعر المتلقي معه.

ثانيا ـ تكرار الاسم :

وقد يلجأ الشاعر الجاهلي إلي ذكر الاسم فيكون التكرار دلالته قال امروء القيس:-

ديـار لسلمى عافيات بذي خال*** ألح عليهـا كـل اسحم هطال

وتحسب سلمـــــي لاتـــــزال تري طلا*** من الوحش أوبيضا بميثاءمحـــلال

وتحسب سلمـــى لاتـــــزال كعهـــــدنا***بوادي الخزامي أو علي رس أوعال

ليالي سلمـــــى إذا تريـــــك منصبا***وجيد كجيـــــد الرئـــم ليس يمعطـــــال

كرر امروء القيس اسم سلمى أربع مرات للدلالة علي التشوق والحنينوالاستعذاب بهذا الاسم وهذا التكرار جاء في محله حيث انه مستقر في محله بدون ثقل لدي المتلقي، ولا يشعر بتنافر لان الغرض هو النسيب وقد أكد ذلك ابن رشيق القيرواني عنده اهتماما بالتكرار فقال:-

((لا يجب للشاعر أن يذكر اسما الا علي جهة التشوق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو تسيب)).

ويأتي تكرار الاسم للتهديد والوعيد كقول الأعشى ليزيد مسهر الشيباني :-

أبـــا ثابـــــت أو تنتمـــــــــوا فإنمـــــــــا***يهيم لعينه من الشر هائم

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا *** أبا ثابت أقعد وعرضك سالم

ودرنا وقوما ان هم عمـــدوا لنـــــا*** أبا ثابت واجلس فانك ناعم(9)

فذكر الاسم هنا لم يأت للتلذذ بل جاء للتهديد للقرائن التي تؤيد ماذهبت إليه مثل : ((تنتمون –لاتعلقنك رماحنا-اقعد- اجلس فانك ناعم)).

ويقع التكرار في الهجاء علي سبيل الشهرة وشدة التوضيع بالهجو كقول ذي الرمة يهجو المري.

كقول ذي الرمة يهجو المري:

تسمى امرئ القيس بن سعد إذا اعتزلت *** وتأبى السبال الصهب والانف الحمر

ولكنما أصـــــــل امرئ القيـــس معشر*** يحل لهم لحم الخنازير والخمر

نصاب امرئ القيس العبيد وأرضهـــــــــم *** ممر المساحى لافلاة ولا مصر

تخلى إلي القفر امروء القيس إنه *** سواء علي الضيف امروء القيس والقفر

تحب امروء القيس القرى أن تناله *** وتأبى مقاريهـــــــــا إذا طلع الفجـــــــر

هل الناس إلا، يا امرأ القيس غادر *** وواف ومافيك وفاء ولاغدر(10)

ويأتي التكرار للنصح والإرشاد وعند بعض الشعراء مثل :أبو العتاهية عندما كرر الفعل "سترى" الذي يفيد التجدد واستغراق الحاضر والمستقبل معاً

فيقول أبو العتاهية مؤكد ذلك:-

ستـــــــرى بعد ما ترى ***غيـــــــــر هذا الذي تري
ستـــــرى ما بقيـــــت ما*** يمنـــــــع الناعس الكرى
ستـــــرى ممن يصـــــير ***بعد نعيـــــــم إلي الثرى
ستـــــرى كل حـــــــــادث*** كيف يجري إذا جرى(11)

هذه الأبيات ارتبطت ارتباطا عميقا بحياة الإنسان وما يعتريها من قوة وضعف واستقرار ورحيل فالشاعر يدعو أخاه الأنســـــــــان إلي التأمـــــــل في هذه الحياة التي تتغير أمامه ، وهو عاجز لاحول له ولا قوة، فالشاعر استفاد من الحياة وخبرها ، وقد يشاركه كثير من الناس فيقول الدكتورأحمد درويش مؤكد ذلك:(..وهكذا يصلح الفعل للحدث الذي يتجدد لحظة بعد لحظة أو لنقل للتعبير عن الحدث المتحرك في النفس ويستطيع الشاعر أو الأديب إذا أجـــــاد استغلال الفعل المضارع في نظم عبارته أن ينقل جو الحدث والتصور المتجدد به)(12).

قال جرير يهجو بنى نمير موجها الهجاء للراعي النميري فقد كرر "بني نمير" في عدة أبيات أورد منها ثلاثة أبيات وهي:-

قرنت العبد بني نمير *** مع القيـنيــن إذا غلبـــا وخابا
لبئس الكسب تكسبه نمير*** إذا استأنـــوكوانتظروالإيابـا
أتـلتمس السبـاب بنو نمير*** فقد وأبيـهم لاقـوا سبـابا
أنا البازي المدل علي نمير*** أتحت من السماء لها انصبابا(13)

دلالة التكرار في الأبيات يدل علي التهكم وتقليل من مكانة بني نمير وهو نوع من الهجاء وفي قالـــــب عتاب قال صاحب كتاب العمدة:(يقع التكـــــــــرار في الهجاء علي سبيل الشهـــــرة وشدة التوضيعبالهجو)(14).

وقال الصاحب بن عباد قصيدة بعنوان لاح لعينك الطلل فقد كرر الشاعر لفظ أنت في سبعة وأربعين بيتا من مجموع أبيات القصيدة البالغ عددها سبعة وتسعون بيتا وهذا التكرار له دلالته فهو يدل علي المدح والمشحون بالفخر لدى الشاعر الذي يدفع بالمتلقي إلي شحذ الهمة فقال:-

أنت الذي نـــام علي ***الفراش فـــــــــي ليل الوجل
أنت الـــذي صلي أمـام*** الناس مـــــــع خير مصل
أنـت الـذي جـــــدل في ***بـدر العفاريـت العضـل
أنت الذي في أحـــــــد ***ثبت طـــــــورا كالجبل
أنت الـــــذي بخيـبـــــر*** أزحت أصنـــاف العلل
أنت الـذي بالخنـــدق اشـ *** تدلعمـــــرو فاضمحـل
أنت الذي في مرحـــــــب ***حكم أطـــــراف الأسل
أنت الذي يـــــوم حنيـــــ***نفرصة النصر اهتبل(14)

فهذه الأبيات التي أوردتها نموذجا للتكرار عند هذا الشاعر الذي ذكر فيها خصال علي بن ابي طالب رحمه الله تأتي من اعتزازه لشخصيته الفذة التي لا مثيل لها شخصية تربت في بيت النبوة وتشربت من صفاتها وأخلاقها فله المدح كله.

ثالثا ـ تكرار الفعل :

يكرر الشاعر الفعل لأغراض ودلالات نفسية مثل قول الجواهري :-

اطبقْ دجى اطبقْ ضباب***اطبقْ جهاما ياسحاب
اطبقْ دخان من الضمير***محرقـــــــا اطبقْ عذاب
اطبقْ دمـــــــار علي حماة***دمارهـــم اطبق تبـــاب
اطبقْ جزاء علي نبـــــأة ***قبـــــــورهم اطبق عقاب
اطبقْ نعيـــــــــــــب يجب***صداك اليوم اطبق ياخراب
اطبقْ علي متبلديـــــــــن***شكا خمولهـــــــم الذباب(15)

كرر الشاعر الجواهري فعل "اطبق" في صدر البيت وعجزه ودلالة التكرار في هذه الأبيات هو التأثير في وجدان الشاعر حيث كرر هذا الفعل "اطبق" اتني عشرة مرة فشاعت في نفس المتلقي نوعا من الإنسانية لان الشاعر ربط بين الماضي المؤلم في نفسيته والألفاظ لها دلالة مؤلمة مظلمة مثل: "دجي-ضباب-دخان-دمار-قبور-نعيب...الخ"

قال الدكتور علي جعفر العلاف :"(يمكن القول إن الجواهري شاعر وإنسان يشكل حلقة متينة ضرورية تربط بين الشعر وتصدعات الواقع)(16).

ربعاـ تكرار الجملة :

لم يقتصر التكرار علي الفعل والاسم بل شمل الجملة كما قالأبو القاسم الشابي:-

ياقلبكم فيك من دنيا محجبـــة ***كأنها حين يبدو فجـــــــــرها "إرم"
ياقلبكم فيك من كون قد اتقدت***فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم
ياقلب كم فيك من أفـــــق تنمقه***كـــــــــواكب تتحلي تم تنعـــــــــدم
ياقلبكم فيك من قبر قد انطفأت***فيـــــــــه الحياة وضجت تحته الرمم
ياقلبكم فيك من غاب ومن جبل*** تدوي به الريح أو تسمو به القمم
ياقلب كم فيك من كهف قد انبجست***منه الجداول تجري مالها من لجم (17)

كرر الشابي العبارة ولعل هذا التكرار يثير في نفس المتلقي لما ذهب الشاعر مذهب التكرار وأري أن الشاعر ذهب هذا المذهب للدلالة علي التعجب من هذه العضلة الصغيرة في حجمها العظيمة في العطاء ولعل الشاعر يريد إيصال للمتلقي أهمية المحافظة علي هذه العضلة.

قال الشاعر علي الفزاني مكررا جملة رسمتك:-

إني رسمتك قبل انطفائي علي جيهات النساء
رسمتك في المدارات وفـــــــــي مفكرة الفصول

رسمتك مطـــــــــــــرا أبيض عنده كل المطر
رسمتك ليلا علي الشرفات فكان ربيع العيون
رسمتك قبلة علي صفحـــــات ذنوبي المثقلة
رسمتك علي وشوشـــــــــــات طلوع البذار(18)

تحمل هذه القصيدة عنوان نشيد ثالث من مجموع فضاءات اليمامة العذراء وقد كرر فيها الجملة الفعلية والتي تفيد الزمن الماضي الذي يدل علي اللذة بالحدث وللدلالة علي أن الذكرى باقية لاتنقضي لأن الرسم يستوعب أكثر جوانب الموصوف لك حتي كأنك تراه نصب عينيك

قال الدكتور عوض محمد صالح مؤكد دور العامل النفس للتكرار:(..وإنما يكون ذلك لدواعي نفسية شعورية من مكان لآخر وبصور مختلفة)(19).

وهذا يكون التكرار محورياً في القصيدة وليس من باب الحشو العميق بل يمثل الجانب النفسي والشعوري للشاعر والمتأمل في شعر الشعراء الليبي يرى التكرار ظاهرة منتشرة عندهم ، ولكن هذا التكرار له دلالته في المعني قال راشد الزبير السنوسي :-

وهي التـــي شدت خطابي *** لربعكم فشقت عطره
وهي التي وهبتني الفلذات *** آخـــره وآســـــــــره
وهي التي عصيت فؤادي *** يوم أن شرخته عدره
وهي التـي وهي التـي *** مازالت أحفظها ليكره (20)

يلاحظ علي الشاعر تكراره "وهي التي " وهي مكونة من حرف العطف والضمير "هي " واسم الموصل "التي " وهذا التكرار له دلالته وهي التشوق والإستعذاب لأن القصيدة من باب الغزل والنسيب.

وقد يلجأ الشاعر إلي تكرار المعاني كما فعل أمرؤ القيس في معلقته للدلالة علي القلق والإضطراب النفسي الذي يعيشه الشاعر حيث قال :-

وليـل كمـوج البحـر أرخـى سدوله ***علـي بأنـواع الهمـوم ليبتـلي
فقلت لـــــــه لما تمطى بصلبه***وأردف أعجازا ونـــــــاء بكلكل
ألا أيهـــــــــــا الليل ألا انجلي***بصبح ومماالإصبـــاح منك بأمثل
فيا لك من ليل كـــــــــــأن نجومه*** بكل مغار الفتل شـــــدت بيذبل
كـأن الثريـا علقت في مصامها*** بأمراس كتان إلـــى صم جندل(21)

قال (ابن رشيق) معلقاً عن البيتين الأخيرين " فالبيت الأول يغني عن الثاني والثاني يغني عن الأول ومعناها واحد ، لأن النجوم تشتمل علي الثريا كما ان يذبل يشتمل علي صم الجندل ، وقوله "شدت بكبل مغار الفتل " مثل قوله "علقت بأمراس كتان "

وقال علي الفزاني في مجموعتة الشعرية الكاملة من قصيدة " رؤيا عقرب يموت"

كيـف من كـــــوخ إلي كـــــــــــــوخ ترابا إلي تراب ؟
كيف مـــــــــــــن كهف إلي كهف ضياعا واغتراب
كيف أمي تركتني يوم عيد الحرف مسلوخ الإهاب(22)

ففي هذا النموذج كرر علي الفراني أداة الاستفهام ودلالته البلاغية التقرير ودلالة التكرار لهذه العبارة التي تدور حول معني العجز أمام واقع الإنسان المر المؤلم.

وإذا لم يكن للتكرار هدف دلالي فهو معيب يجب الابتعاد عليه حتي لا يقع الشاعر تحت سطوة النقادة لان مسألة التكرار مشار اختلاف في المؤلفات النقدية علي مرور العصور فنجد المؤيد لها والنافر منها فمثلا يري الجاحظ يقبل من التكرار ما كان لضرورته المعني وتقريره أو ماكان منه مثلا باحتياج المخاطب إلي التنبيه ، كما لاحظ أن ترداد الالفاظ ليس يعني مالم يجاوز الحاجة ويخرج الي العبث.

خمسا ـ التكرار المعيب :

إذا لم يكن للتكرار مطلب بلاغي ودلالي فأنه يصبح معيبا،ومن التكرار المعيب الذي أورده ابن رشيق القيرواني أبيات لابن الزيات :-

أتعزف أم تقيم على التصابـــــــي ***فقد كثرت منا قلـــــــــة العتاب
إذا ذكر السلو عن التصابـــــــــي ***نفرت مــن اسمه نفر الصعاب
وكيف يلام مثلك في التصابـــــي *** وأنت فتى المجانة والشباب
سأعزف إن عزفت عن التصابي *** إذا مـــــــا لاح شيب بالغراب
ألم ترني عدلت عن التصابـــــــي *** فأغرقتني الملامة بـــالتصابي (23)

قال ابن رشيق معلقا عن هذه الأبيات :(فملأ الدنيا التصابي علي التصابي لعنة الله من أجله ، فقد يرد به الشعر، ولا سيما وقد جاء به كله على معن واحد علي الوزن كم يعد به عروض البيت)(24)

وهذا يتفق مع ما أورده الجاحظ بأن التكرار لا يأتي إلا للحاجة وإلا صار عبثا لا فائدة فيه كما في أبيات ابن الزيان

الخاتمـة :

من خلال ما تقدم نصل إلي النتائج الآتية:-

1. التكرار أصيـــــل في أدبنا العربـــــي وليس حـــــــــدثا.
2. يلجأ الشاعر إلي التكرار رغبة في التأثير في المتلقي.
3. التكرار ليس حشو بل محور ارتكازي تقوم عليه القصيدة.
4. يستخدم التكرار للتنغيم الموسيقي لدي الشاعر.
5. يشيع التكرار في الشعر الحديث الجو النفسي لدي الشاعر.
6. موقف النفاد من ظاهرة التكرار ليست واحدة بل آراء مختلف.
7. التكرار له دلالته المختلفة بين الشعراءمن تشوق ، وهجا، وحث...الخ

8. التكرار قد يكون في الموضوع الواحد باستخدام ألفاظ ذات دلالة متعددة.
9. التكرار في شعرنا العربي يهدف إلي إشاعة الإيقاع الداخلي المؤثر في نفس المتلقي.
10. يتنوع التكرار بين الاسم والجملة الإسمية والفعلية والحرف وكل له دلالته.

الهوامش :

(1). القران الكريم .
(2). صفوة التماسير .ص 144
(3). القصائد التسعة المشهورة ص 54.
(4). ديوان عنترة بن شداد ص 177.
(5). المعلقات السبع –الزوزوني ص 98.
(6). النص الشعري ومشكلات التفسير الدكتور عاطف جودة ص 121.
(7). ديوان امروء القيس ص 139-140 .
(8). ديوان الأعشي ص 179.
(9). ديوان ذي الرمة.
(10). ديوان أبي العتاهية ص 177.
(11).دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث د. أحمد درويش ص 152.
(12). ديوان جرير ص 61.
(13).العمدة ج 2 ص76.
(14).ديوان الصاحب بن عباد ص45.
(15). ديوان الجواهري ص 58.
(16). الشعر والمتلقي دراسات نقدية د. علي جعفر العلاق ص 11.
(17). الشابي حياته وشعره ص 216.
(18). ديوان فضاءات اليمامة العذراء علي الفراني ص 22.
(19). الشعر العربي الحديث في ليبيا دراسة في اتجاهاته وخصائصه د. عوض محمد صالح ص 91.
(20). ديوان رسائل إلي زوجتي راشد الزبير السنوسي ص 16.
(21).القصائد التسع المشهورة ص162.
(22). العمدة ج 2 ص 78.
(23). المجموعة الكاملة علي الفراني ص 323.